الأهرام

٢٨ ديسمبر ٢٠٠٧

هوامش حرة

يكتبها

فاروق جويدة

fgoweda@ahram.org.eg

لقاء مع د. فتحى سرور

مازلت أرى أن الحوار بين السلطة وصاحبة الجلالة امر ضرورى للغاية وأن هذا الحوار يتطلب قدرًا كبيرًا من الموضوعية ونزاهة المواقف وان من الممكن ان نتفق حول قضايا كثيرة إذا صدقت النوايا وتوحد الهدف وهو مصلحة مصر أولا وأخيرًا .. كانت هناك لقاءات عارضه وعلى فترات متباعدة بينى وبين د. أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب .. التقينا وهو نائب لرئيس جامعة القاهرة منذ سنوات بعيدة ثم التقينا وهو وزير للتربية والتعليم وطوال فترة رئاسته لمجلس الشعب رايته مرة واحدة .. منذ زمان بعيد وأنا أرى أن د. سرور تسلح من البداية بمجموعة من المقومات التى أهلته دائمًا أن يكون فى مقدمة الصفوف والأضواء هو عالم ضليع فى تخصصه القانون وصاحب مدرسة فيه .. وهو محامى يحمل عبق الزمان الجميل فى المرافعات البليغة والحجج القوية .. وكان يحلم يومًا أن يكون كاتب قصة ولكن القانون حمله بعيدًا ولهذا فإن عبارته جميلة ولغته العربية متميزة وهو إنسان هادىء جدًا أمام العواصف ومقنع جدًا مادام الخلاف معه يلتزم بأصول الحوار وقبل هذا ما أجمل أن تجلس معه بعيدًا عن المناصب والألقاب .. بحيث ترى د. فتحى سرور المحامى وأستاذ القانون ..

أيهما يسبق الآخر الحرية أم العدل كانت المداخلة السريعة الأولى بيننا قال الحرية قلت بل هو العدل حيث يغيب العدل لا مكان للحرية وللحرية أظافر ولكن العدل كان دائمًا هو الأرفع والأكمل ولهذا دعنى أتحاور مع رجل القانون لأنه الأقرب إلى العدل واتفقنا

● **قلت للدكتور سرور : كيف تفسر كرجل قانون ظاهرة الخروج على النص فى الشارع المصرى هناك حالة انفلات تقترب أحيانًا من الغوغائية فى لغة الحوار والتفاعل مع الأحداث وردود الأفعال وللأسف الشديد أن هناك أطرافًا كثيرة شاركت فى هذه الظاهرة إعلاميًا وسياسيًا وسلوكيًا ؟..**

● **قال :** أعترف معك أننا نعانى حالة انفلات فى السلوك ولاشك أن أى خروج على الضوابط التى تحكم السلوك العام للمواطن يصل بنا إلى هذه الغوغائية ويأخذ ذلك أشكالاً عديدة تبدأ بالانفلات فى المواقف وتنتهى بالانفلات فى الأفكار وهذه الظاهرة لها أسبابها وأطراف كثيرة تتحملها منها التعليم والثقافة والأسرة والضغوط الاجتماعية وحب التقليد كل سبب من هذه الأسباب يشارك فى صنع هذه الظاهرة لك أن تتصور إنسانًا يسير فى الصحراء دون أن تكون معه بوصلة ترشده وهذه الغوغائية التى نتحدث عنها هى فقدان للبوصلة وتعنى أننا ضللنا الطريق وهنا لابد أن نعود إلى تلك الضوابط التى تحكم سلوكيات الناس فى الحوار وفى تقديرى أن المجتمع المصرى بتاريخه وتكوينه قادر على تجاوز مثل هذه الظواهر التى تعكس نوعًا من أنواع الخلل أمام التغيرات الاجتماعية والاقتصادية الحادة التى شهدتها مصر فى السنوات الأخيرة .

● **قلت : لاشك أن ذلك كله ترك آثارًا عميقة فى أحوال مصر كما نراها الآن على المستوى الاقتصادى والاجتماعى والإنسانى .. أنت بحكم المسئولية والمنصب والتجربة الطويلة كيف ترى مصر الآن ؟..**

● **قال :** أحوال مصر الآن ترتبط كثيرًا بمجموعة من العوامل الداخلية والخارجية لأنها رحلة البحث عن الذات المصرية فى أكثر من مرحلة تاريخية . نبدأ بالعوامل الخارجية وهى نبدأ بالتاريخ عندما حاول محمد على أن يحقق لمصر ذاتها ودخل فى معارك مع الإنجليز والفرنسيين بهدف استقلال الإرادة المصرية وتحديد دور مؤثر يتناسب مع أهمية مصر تاريخيًا وجغرافيا . وقد تعارضت أهداف مصر فى هذه الفترة مع مصالح دولية تخص انجلترا وفرنسا وقد احتلت الدولتان التراب المصرى كان هذا هو أول اختبار لمصر فى عصرها الحديث لتحقيق ذاتها أمام القوى الدولية المؤثرة فى ذلك الوقت . وبعد فترة طويلة من الزمن جاء جمال عبد الناصر ليفشل مشروع مفاوضاته لإنشاء السد العالى مع أمريكا فيلجأ للاتحاد السوفيتى لتمويل السد وهنا تدخل مصر حلقة أيديولوجية جديدة عليها وهى محور الاشتراكية رغم أنها كانت بعيدة من حيث التطبيق والمنهج عن الاشتراكية السائدة فى الاتحاد السوفيتى وسقط الاتحاد السوفيتى لتجد مصر نفسها أمام " العولمة " وقد حملت معها متغيرات اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية تركت آثارها على كل دول العالم بما فى ذلك مصر

● **قلت : ولكن للبشرون بالعولمة عندنا صلاوا رؤوسنا صخبًا وضجيجًا حول أهميتها وضرورتها .. هناك من مفكرينا وكتابنا من هتفوا كثيرًا لمواكب العولمة رغم أنها حملت مخاطر كثيرة للعالم ؟..**

● **قال :** كانت لها بكل تأكيد آثار سلبية علينا ابتداء بالاقتصاد وارتفاع الأسعار وظهور الشركات متعددة الجنسيات وهى أقوى من الدول انتهاء بالآثار الاجتماعية السيئة خاصة ما واجهته ظروفنا الثقافية وهى ثقافة تاريخ وجذور من عوامل أدت إلى ضعفها أمام الثقافة الغربية الوافدة بكل ما فيها من قوة التأثير والانفلات والمفاهيم الخاطئة .

لقد وجدنا أنفسنا أمام غزو ثقافى حقيقى وهذا أخطر ما حملته العولمة خاصة أنه حمل توابع اجتماعية فى السلوك لا تتفق معنا . وعلى المستوى السياسى غاب التوازن فى القوى الدولية ووجدنا أنفسنا نعيش فى عصر القطب الواحد بكل ما ترتب على ذلك من آثار سلبية خاصة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١

● **قلت : هذا عن الجانب الخارجى وآثاره السلبية ولكن هناك جوانب داخلية نتحمل نحن مسئوليتها خاصة أمام التغيرات الحادة التى شهدتها مصر منذ قيام ثورة يوليو وحتى الآن؟ ..**

● **قال :** دعنى أتوقف كثيرًا أمام حدثين على درجة واحدة من الأهمية والخطورة ما حدث لمصر فى نكسة ٦٧ وآثرها الخطير جدًا وما حدث فى عام ١٩٧٣ واستعادة سيناء . وما بينهما مشوار طويل من الأسباب والنتائج ولكن المؤكد أن الرئيس الراحل أنور السادات واجه صعوبات كثيرة ليعيد التوازن إلى مصر بعد انتصار أكتوبر كان يسعى إلى مناخ ديمقراطى واقتصاد حر وتأكيد لاستقلال الإرادة الوطنية ولكن انهيار البنية الأساسية اقتصاديًا وعدم وجود قوى سياسية تعبر عن إرادة الشعب جعل المهمة صعبة للغاية .. وعندما جاء الرئيس حسنى مبارك كانت أمامه تركة مثقلة وبدأ رحلة بناء الاقتصاد المصرى من الصفر وفى نفس الوقت وبالتوازى إقامة حياة ديمقراطية حقيقية وكانت هذه رحلة أخرى للبحث عن الذات المصرية أمام صعوبات دولية وإقليمية غاية فى الخطورة

● **قلت : تتحدث كثيرًا عن الذات المصرية خاصة فى جانبها الثقافى لاشك أننا جميعًا نشعر ببعض التراجع فى هذا الجانب أمام الغزو الثقافى الذى أشرت إليه بجانب تراجع الكثير من العناصر التى قام عليها الدور الثقافى المصرى فى المنطقة بل فى العالم كله .. ان مصر الثقافة كانت دائمًا هى الوجه المشرق للريادة المصرية كيف تراها الآن ؟..**

● **قال :** لاشك أن بضاعة مصر الأولى هى الثقافة ورغم الجهود الكثيرة التى بذلت لاحياء الثقافة المصرية إلا انه ينبغى التركيز على الذات المصرية لأن مصر مركز ثقافى لا يمكن التشكيك فى أهميته وقد كان إنشاء مكتبة الاسكندرية مؤشرًا هامًا فى هذا الاتجاه وإذا كانت الدول تروج لما لديها من منتجات وصناعات فإن المنتج الثقافى المصرى هو أهم جوانب التميز فينا ولهذا فإن فترة مصر التنافسية فى العالم ينبغى أن تقوم على الثقافة والسياحة أن ذلك يحقق لمصر أكثر من نتيجة أنه مورد اقتصادى هام وهو تأكيد للشخصية المصرية ومقوماتها الأساسية ثم أنه تأكيد لقيمة الانتماء . وهذا أيضًا يمثل عائدًا سياسيًا لا يستهان به . أن العالم ينظر لنا بتقدير عظيم فى تميزنا الثقافى ولا أحد يستطيع أن ينافسنا فى ذلك خاصة أن ذلك يمثل تاريخنا يحظى باحترام العالم ولدينا من التاريخ رصيد ضخم وهنا يمكن أن نحقق المعادلة بين الثقافة والتاريخ والسياحة . وهنا أيضًا أشير إلى ضرورة الاهتمام بالبحث العلمى حتى تكون لنا شخصيتنا الفريدة فى الأبحاث العلمية ولا نكون عالة على الغرب الذى غالبًا ما يركز على ما يخدم مصالحه .. أن مستقبل مصر مرهون بأربعة مجالات هى التعليم والثقافة والبحث العلمى والسياحة أما غير ذلك من مجالات الصناعة والزراعة فإن نجاحها مرتبط بالمجالات السابقة . أن دور مصر الثقافى فى المنطقة العربية هو دورنا الحقيقى فما زال فى مصر الرصيد الأكبر من العلماء والمفكرين والمبدعين والعالم العربى كان وسيظل يعتمد على الخبرة المصرية فى كل المجالات لأن ثروة مصر البشرية هى موردها الأول من حيث الامتداد والعمق والتأثير .

● **قلت : ولكن المحيط العربى تطور فى جامعاته وأسلوب حياته وقدراته البشرية خاصة أن ظروفنا الاقتصادية تمنعنا أحيانًا من مجاراة هذا الدور ؟..**

● **قال :** المشكلات الاقتصادية ليست قاصرة علينا وهذه من سلبيات العولمة على مستوى العالم كله أنها بؤرة لصناعة الأغنياء بكل ما حمله ذلك من سلبيات خاصة ارتفاع الأسعار

● **قلت : تتحدث عن الثقافة بحماس شديد الدور والمسئولية ولكننى لا أجد مثل هذا الحماس مثلاً فى برامج الحزب الوطنى حزب الأغلبية يخيل إلى أحيانًا أن هناك عداء خفيًا بين الحزب الوطنى والثقافة ؟..**

● **قال :** لا أشعر بذلك

● **قلت : عندما تجلس على منصة رئيس مجلس الشعب وتستعيد صور نواب مصر فى زمان مضى هل يدور فى فكرك أشخاص مثل العقاد وهيكل باشا ومكرم عبيد وهذه الرموز العظيمة فى تاريخ مصر عندما كانوا نواب الشعب فى البرلمان الا تحزن لما وصلنا إليه خاصة عندما تعلو الأصوات والحناجر فى المناقشات . ويفقد الحوار قدسيته وهيبته؟ ..**

● **قال :** عندى لك حكاية .. فى عام ٤٩ استقال د. مصطفى القللى وكان عميدًا لكلية الحقوق بجامعة القاهرة لكى يرشح نفسه فى مجلس النواب فى ذلك الوقت وكان أستاذًا للقانون ومحاميًا ضليعًا ولكنه سقط فى الانتخابات أمام عامل بسيط . ان لغة الشارع ليست دائمًا لغة الفكر والثقافة كما نعهدها عند المثقفين وهذه ليست مسئولية الحزب الوطنى ولكنها مسئولية الشارع الذى لا ينتخب أحدًا من هذه النخبة لأن الحزب يبحث عن أسماء المرشحين الذين يفوزون فى الانتخابات ولهذا فإن مقاييس الانتخابات لا تخضع بالضرورة لمقاييس الثقافة والفكر . الانتخابات شىء والثقافة شىء آخر

● **قلت : هل الأمية هى السبب فى ذلك ؟..**

● **قال :** بالتأكيد الأمية الثقافية والأمية السياسة أيضًا

● **قلت : تجد نفسك فى مجلس الشعب أمام تيارين لا ثالث لهما الحزب الوطنى حزب الأغلبية وجماعة الإخوان المسلمون التى تسمى المحظورة.. ألا تستحق مصر التاريخ والفكر والثقافة مساحة أوسع كثيرًا من هذه الخنادق الفكرية هل صغرت مصر لهذه الدرجة حتى لا نجد أمامنا غير نقيضين وتغيب بعد ذلك كل الأطياف السياسية ؟**

● **قال :** بكل المقاييس مصر تستحق ما هو أكبر من هذا ودور مصر التاريخى والحضارى يؤهلها لذلك لأن قيمتها الحقيقية ليست فى أشخاصنا ولكن فى بلد عظيم ننتمى إليه .

● **قلت : ولهذا فإن ما نراه الآن من انقسام بين قطبين وغياب معظم الأحزاب عن الساحة أمر يدعو للتساؤل والدهشة؟ ..**

● **قال :** بل يدعو للحزن والألم . أنا حزين جدًا لأوضاع القوى السياسية فى مصر الآن هناك قوة الأغلبية التى يقودها الحزب الوطنى وقوة سياسية أخرى تتحرك تحت سمع القانون تحت مسمى مستقلين حزبيًا رغم أن القانون يعاملهم كجماعة محظورة والقانون هنا ذو وجهين وجه يسمع ووجه لا يسمع وهو موقف غريب يدعو بالفعل للتساؤل والدهشة . وبجانب هذا توجد الأحزاب الأخرى ما بين اليمين واليسار هناك الوفد بكل تاريخه ويمثل اليمين وهناك اليسار ممثلا فى حزب التجمع والحزب الناصرى وللأسف الشديد ليس للتيارين أى وجود مؤثر فى الشارع المصرى وهذا أمر يدعو للحزن فلابد من وجود معارضة حرة يمكنها أن تطالب يومًا بتداول السلطة إذا استطاعت أن تحقق وجودها وتصدر فى الشارع السياسى ولكنها الآن عاجزة عن تحقيق ذلك ولهذا يسعى نفوذ هذه الأحزاب حتى لا يجد الحزب الوطنى نفسه وحيدًا مع قوى سياسية تعمل باسم القانون رغم أنها مستقلة عن الأحزاب يجب أن يدرك الحزب الوطنى أن مصلحته هى فى الانتماء الحزبى الواضح والصريح وأن الأغلبية والمعارضة معًا هما القادران على رسم سياسة مصر وطريقها السليم أن الدول الكبرى العريقة فى الديمقراطية تؤمن بوجود الأغلبية والمعارضة الحزبية معًا

● **قلت : ولكن هناك رأيًا يرى أن الحزب الوطنى يتحمل مسئولية إضعاف الأحزاب الأخرى حتى تظل له الأغلبية وأن هذا الموقف هو الذى شجع على نمو جماعة الإخوان المسلمون فى الشارع المصرى؟**

● **قال :** لا أعتقد ذلك لأنه من الخطأ الجسيم سياسيًا تحجيم الممارسات الحزبية أو الحد من انشطتها ظانًا أنها فى إطار القانون ولكنى أسبب عن حلافات داخل الأحزاب أدت إلى إضعافها والعودة بها للوراء . الأحزاب الناشئة تتحمل مسئولية ما أصابها وليس الحزب الوطنى

● **قلت : تلقيت رسائل كثيرة من معتقلين فى السجون المصرية بدون تهمه وأفرج عنهم أكثر من مرة ولكن سيارة الشرطة التى تخرج بهم من باب السجن تعود بعد دقائق مع أمر اعتقال جديد .. ماذا عن المعتقلين فى سجون مصر ؟ ..**

● **قال :** قانون الطوارئ أجاز الاعتقال بالنسبة للخطرين على الأمن العام والنظام والطعن فى قرارات الاعتقال يكون أمام القضاء .

● **قلت : فى مجلس الشعب أكثر من استجواب حول قضية الاعتقالات لم يناقشها المجلس أو حتى يتحدث فيها خاصة أنه لا أحد يعلم عدد المعتقلين فى سجون مصر ؟ ..**

● **قال :** هناك لجنة الدفاع والأمن القومى فى المجلس وهى التى تبحث ذلك كله وعندما ينتهى العمل بقانون الطوارئ فى نهاية عام ٢٠٠٨ بعد صدور قانون الإرهاب لن تكون هناك اعتقالات وإنما يطبق القانون على الإرهابيين فقط . وأخيرًا لحساسية هذه القضية فإن المجلس يمارسها من خلال هذه اللجنة بصورة ووضوح مع وزير الداخلية وقيادات الشرطة

● **قلت : ماذا عن بطلان العضوية فى مجلس الشعب وتقارير محكمة النقض وأن المجلس سيد قراره ؟**

● **قال :** تقارير محكمة النقض أحلتها للجنة التشريعية وهى تدرسها وهناك حالات متشابهة

● **قلت : هل تقلق وأنت ترى هذا العدد من المظاهرات والاحتجاجات فى الشارع المصرى المصانع والإدارات الحكومية والفلاحين فى القرى . إنها ظاهرة جديدة علينا البعض يراها شيئًا إيجابيًا . والبعض الآخر يرى غير ذلك ما رأيك ؟ .**

● **قال :** التعبير عن الرأى له مظاهره فى حدود القانون وعندما يعبر صاحب الرأى عن تحقيق أهدافه يلجأ إلى العوغائية وهنا يكون السؤال هل كانت الأهداف مشروعة وإذا كانت مشروعة لماذا لم يتم تلبيتها فورًا . أما العوغائية للحصول على طلبات غير مشروعة فهو أمر مرفوض

● **قلت : فى رحلتك مع السلطة والمناصب ورغم الأعباء والالتزامات لم تنس يومًا دورك كأستاذ للقانون لك تلاميذك ومريدوك وهدد نقطة تحسب لك فى مسيرتك العلمية .. ماذا يكتب د. سرور الآن ؟**

● **قال :** لم أتخل يومًا عن دورى العلمى والفكرى فى أى مرحلة من مراحل حياتى العلمية . أننى مشغول حاليًا بقضية هامة أكتب فيها كتابًا بعنوان القانون الجنائى فى الإرهاب وأناقش فيه مشكلة التوازن بين اعتبارات الأمن واعتبارات حقوق الإنسان فى جرائم الإرهاب

● **قلت : عندى سؤال غريب . لو كان الرئيس السادات حيًا الآن هل كان سيذهب إلى القدس مع كل ما يحدث فى المنطقة من كوارث فى العراق ولبنان وفلسطين .. وما تمارسه إسرائيل من أعمال العربدة فى الأراضى المحتلة ؟..**

● **قال :** ما فعله الرئيس السادات كان حدثًا تاريخيًا عظيمًا بكل المقاييس أعاد به أرضنا . ولابد أن يتحقق السلام للأجيال القادمة والبديل عن السلام هو الحرب ولهذا فإن السلام ضرورة حتمية للجميع من أجل التنمية والحياة والحرب هى الدمار ولا أحد يريد ذلك

● **قلت : ألا يزعجك التفاوت الطبقى الرهيب فى مصر الآن ؟**

● **قال :** لاشك أنه يزعجنى لأنه أخلال بالأمن الاجتماعى والسياسى فى بلد واحد . والعدالة الاجتماعية ليست شعارًا بعيد مضمون ولهذا لابد أن يتحول الشعار إلى حقيقة حتى يتحقق هذا الأمن

● **قلت : هل تأخرنا فى ذلك ؟**

● **قال :** هناك مشكلات كثيرة كانت السبب فى ذلك وما كان يمكن علاجه بسهولة بالأمس أصبح الآن أكثر صعوبة ويحتاج إلى وقت أطول

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية